ونهم قتله من حصر واخرجت جثته ورميت على باب الخيمة فلما راه الملك على تلك الحال
لم تشك في انه يلحقه به فاستحضره وطيب قلبه وقال لم تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك
واما هذا فانه تجاوز الحد وتجرى على الانبياء صلوات الله عليهم وبات الناس في تلك الليلة على
اتم سرور وترتفع اصواتهم بحمد الله تع وشكره وتهليله وتكبيره حتى طلع الفجر ثم نزل
السلطان على طبرية يوم الاحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الاخر وتسلم قلعتها في ذلك النهار
واقام عليها الى يوم الثلثا ثم رحل طالبا عكا فكان نزوله عليها يوم الاربعا سلخ شهر ربيع الاخر
وقاتلها بكرة يوم الخميس مستهل جمادى الاولى سنة ثلث وثمانين فاخذها واستنقذ من كان بها من
اسارى المسلمين وكانوا اكثر من اربعة الاف نفس واستولى على ما فيها من الاموال والذخاير والبضايع
لانها كانت مظنة التجار وتفرقت العساكر في بلاد الساحل ياخذون الحصون والقلاع والاماكن
المنيعة فاخذوا نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة وكان ذلك لخلوها من الرجال لان
القتل والاسر افنى كثيرا منهم ولما استقرت قواعد عكا وقسم اموالها واسارها سار يطلب تبنين
فنزل عليها يوم الاحد حادي عشر جمادى الاولى وهي قلعة منيعة فنصب عليها المناجيق وضيق الزحف
فضاق من فيها وكان فيها ابطال معدودون وفي دينهم متشددون فقاتلهم قتالا شديدا ونصره
الله سبحانه عليهم فتسلمها منهم يوم الاحد ثامن عشره عنوة واسر من بقي فيها بعد القتل ثم رحل
عنها الى صيدا فنزل عليها وتسلمها على غد يوم نزوله عليها وهو يوم الاربعاء العشرون من جمادى
الاولى واقام عليها حتى قرر قواعدها وسار حتى اتى بيروت فنازلها ليلة الخميس من جمادى
الاولى وركب عليها المناجيق وداوم الزحف والقتال حتى اخذها في يوم الخميس التاسع و
العشرين من الشهر المذكور وتسلم اصحابه جبيل وهو على بيروت ولما فرغ باله من هذا الجانب راى
قصد عسقلان ولم ير الاشتغال بصور بعد ان نزل عليها ثم راى ان العسكر قد تفرق في الساحل
وذهب كل واحد يحصل لنفسه وكانوا قد ضرسوا من القتال وملازمة الحرب والنزال وقد اجتمع
في صور من بقي في الساحل من الفرنج فراى ان قصد عسقلان اولى لانها ايسر من صور عسقلان ونزل
عليها يوم الاحد السادس عشر من جمادى الاخرة من السنة وتسلم في طريقه اليها مواضع كثيرة كالرملة
والداروم واقام على عسقلان المناجيق وقاتلها قتالا شديدا وتسلمها يوم السبت سلخ جمادى
الاخرة من السنة واقام عليها الى ان تسلم اصحابه غزة وبيت جبريل والنطرون بغير قتال وكان
بين فتح عسقلان واخذ الفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة فانهم كانوا اخذوها من
المسلمين في السابع والعشرين من جمادى الاخرة سنة ثمان واربعين وخمسمائة هكذا ذكره شيخنا
ابن شداد في السيرة وذكر الشهاب ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه المشترك وضعا المختلف صقعا
ان الفرنج اخذوها من المسلمين في رابع عشر جمادى الاخرة من السنة قال ابن شداد ولما تسلم عسقلان و
الاماكن المحيطة بالقدس شمر عن ساق الجد والاجتهاد في قصد القدس المبارك واجتمعت اليه
العساكر التي كانت متفرقة في الساحل فسار نحوه معتمدا على الله تعالى مفوضا امره اليه منتهزا
الفرصة في فتح باب الخير الذي حث على انتهازه بقوله صلى الله عليه وسلم من فتح له باب خير
فلينتهزه فانه لا يعلم متى يغلق دونه وكان نزوله عليه في يوم الاحد الخامس عشر من رجب سنة
ثلاث وثمانين وخمسماية وكان نزوله بالجانب الغربي وكان مشحونا بالمقاتلة من الخيالة والرجالة

وهو

دحو واهل الخبرة ممن كان معه من كان فيه من المقاتلة فكانوا يزيدون على ستين الفا خارجا
عن النساء والصبيان ثم انتقل لمصلحة راها الى الجانب الشمالي في يوم الجمعة العشرين من رجب
ونصب المناجيق وضايق البلد بالزحف والقتال حتى اخذ النقب في السور مما يلي وادي جهنم
ولما راى اعداء الله ما نزل بهم من الامر الذي لا يدفع عنهم وظهرت امارات فتح المدينة وظهور
المسلمين عليهم وكان قد اشتد روعهم لما جرى على ابطالهم وحماتهم من القتل والاسر وعلى حصونهم ثم
من التخريب والهدم وتحققوا انهم صايرون الى ما صارا وليك اليه فاستكانوا واخلدوا الى طلب
الامان واستقرت القاعدة بالمراسلة من الطايفتين وكان تسليمه في يوم الجمعة السابع والعشرين
من رجب وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها بالقران الكريم فانظر الى هذا الاتفاق العجيب
كيف يسره الله تعالى عوده الى المسلمين في مثل زمان الاسرى بنبيهم صلعم وهذه علامة قبول الطاعة من الله
تعالى وكان فتحه عظيما شهده من اهل العلم خلق ومن ارباب الخرق والزهد عالم وذلك ان الناس لما سمعوا
ما يسره الله تعالى على يده من فتوح الساحل وقصده القدس قصده العلماء من مصر والشام بحيث لم
يتخلف احد منهم وارتفعت الاصوات بالضجيج والدعاء والتهليل والتكبير وصليت فيه يوم الجمعة يوم فتحه
وخطب الخطيب قلت وقد تقدم في ترجمة القاضي محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن الزكي ذكر الخطبة
التي خطب بها ذلك اليوم فكشف منه ورايت في رسالة القاضي الفاضل المعروفة بالقدسية
ان الخطبة اقيمت يوم الجمعة رابع شعبان والله اعلم واذ قد ذكرنا فتوح القدس وقد تقدم ذكر الخطبة
التي خطب يوم الجمعة بها يليق ان نذكر الرسالة التي كتبها القاضي الفاضل الى الامام الناصر لدين الله تعالى
ابي العباس احمد بن الامام المستضيء بالله يتضمن الفتوح فانها بديعة بليغة في بابها ولم اذكرها كلها
بل اخترت منها احسنها وتركت الباقي وهي ادام الله ايام الديوان العزيز النبوي ولا زال مظفر الجد
بكل جاحد غنيا بالتوفيق عن راي كل ناكث موقوف المساعي على اقتناء مطلقات المحامد مستيقظ النصر
والنصل في جفنه راقد وارد الجود والسحاب على الارض غير وارد متعدد مساعي الفضل وان كان
لا يلقى الا بشكر واحد ماضي حكم العدل بعزم لا يمضي الا بنسل غوى ورشد راشد ولا زالت غيوث
فضله الى الاولياء انواء الى المرابع وانوارا الى المساجد وبعوث رعبه الى الاعداء خيلا الى المراقب ت
وخيلا الى المراقد كتب الخادم هذه الخدمة تلو ما صدر عنه مما كان يجري مجرى التباشير لصبح
هذه العزمة والعنوان لكتاب وصف النعمة فانها بحر للاقلام فيه سبح طويل ولطف يحمل الشكر
فيه عب ثقيل ويشتهى للخواطر في شرحها مارب ويسر للاسرار في اظهارها مسارب ولله في
اعادة شكره رضى وللنعمة الراهنة به دوام لا يقال معه هذا مضى وقد صارت امور الاسلام
الى احسن مصايرها واستتبت عقايد اهله على ابين بصايرها وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط
وصدق الله اهل دينه فلما وقع الشرط وقع المشروط وكان الدين غريبا فهو الان في وطنه
والفوز معروضا فقد بذلت الانفس في ثمنه وامر امر الحق وكان مستضعفا واهل ربعه
وكان قد عبق حين عفا وجاء امر الله وانوف اهل الشرك راغمة واولجت السيوف الى الاجال د
وهي نايمة وصدق وعد الله في اظهار دينه على كل دين واستطارت له انوار ابانت ان
الصباح عندها حان الحين واسترد المسلمون تراثا كان عنهم ابق وظفروا يقظة بما لم
يصدقوا انهم يظفرون به طيفا على النأي طارقا واستقرت على الاعلا اقدامهم وخفقت

Copyright © King Saud University